

حوار الشعوب في ظل التعايش الديني والحضاري والثقافي.

الأستاذ الدكتور سعيدي محمد

جامعة تلمسان

1. مقدمة:

نسمى في هذه الدراسة إلى الإجابة على بعض التساؤلات المرتبطة بمفهوم الحوار والرغبة القوية في العيش والتعايش السلمي بين الشعوب.

لقد أصبحت مسألة الحوار ضرورة ملحة وهاجسا كبيرا سواء داخل الوطن الواحد وبين أبنائه أو خارجيه أي بين أوطان مختلفة وأبناء الشعوب المختلفة ولهذا نجد عددا من التنظيمات العالمية الحكومية وغير الحكومية تسخر كل طاقاتها المادية والمهنية والسلوكية من أجل تحقيقه.

ولعل من أهم هذه التساؤلات التي ظلت تضغط علينا دوما وأبدا

كلما اقربنا وقاربنا هذه المسألة ما يلي:

- ما معنى الحوار؟
- ما هي أسسه المعرفية والأخلاقية؟
- ما هي أهدافه؟
- ما هي مصادره؟
- ما هي أطوره الثقافية والحضارية والدينية والسياسية

والاقتصادية؟

- نزيدها حرة ، ديمقراطية تعددية بتعدد شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط وثقافتها وحضاراتها ولغاتها.
- نزيدها مساحة معرفية كبيرة وشاسعة شساعة حوض المتوسط تخض كل الأقدام وكل الأصوات وكل الحروف المتوسطية.
- نزيدها صافية بيضاء وصفاء الحوض المتوسطي ، حرة ونزيهة وبعيدة عن الحقد والكراهية والتعصب الفكري والثقافي والعنصري الإنثي .
- نزيدها عتيقة وأصلية أصالة تاريخ وحضارات حوض البحر الأبيض المتوسط .
- و من أجل كل هذا جاءت مجلة الفكر المتوسطي وهي تفتح صدرها للباحثين المصابين بهاجس المعرفة المتوسطية ، معرفة نزيدها علمية نزيهة، شريفة ، عادلة ، حرة ، سليمة وسلمية في لغتها وفي أفكارها وفي مقاصدها .

مدير الخبر /أ.د. سعيدي محمد

2. مفهوم الحوار:

لعله يكون من باب النطق أن نبدأ بتحديد مفهوم الحوار والذي يعني تلك الممارسة الغوية والكلامية سواء على المستوى الكتابي أو على المستوى الشفوي والتي تدور بين الناس وفق نظام اتصالي توافقي خاص.

ولقد خصصت القواميس اللغة العربية قديماً وحديثها مفهوم الحوار وتعريفات جد خصبة حيث يقول في هذا الصدد العلامة الغفوي ابن منظور في لسانه الشهير الحوار هو الجواب أو الرد والحوارة المجاورة، والتحاو والتجاوب، ويتحاورون، يتراجعون الكلام، والحوارة أيضاً من مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره واستحار الدار استنطقها من الحوار الذي هو الرجوع والحواريون صفوف الأنبياء الذين خلصوا لهم، وتأويل الحوارين في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب¹.

وتكاد كل قواميس اللغة العربية الحديثة تتلقى في الدائرة التعريفية التالية لمفهوم الحوار، حيث نقرأ في المنجد في اللغة العربية المعاصرة: حوار محاوره وحوار: جاور - حاور فلاناً حادلاً... حوار: تبادل الحديث والجدال والكلام: حوار بين متخاطبين - حوار: ما يكون على شكل حوار... محاوره: جدل يدور بين شخصين أو أكثر في موضوعات معينة².

وقد عرف سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله الحوار من حيث الفاعلية الدينية الإسلامية قائلاً: "الإسلام دين الحوار الذي يطلق الفكر أن يفكر في كل شيء ليتحدث عن كل شيء وليحاور الآخرين على أسس

الحسنة والبرهان والدليل، ليعلمهم كيف يصلون إلى قناعاته وآفاقه بالكلمة الحلوة والأسلوب الطيب والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن³. وحتى يكسب الحوار معناه ووظيفته لا بد من توفير عدد من الشروط والتي قد تنظم علاقات الأقطاب المتحاوره وهي:

1-

المعرفة اللغوية:

جهل المتحاور لغة المتحاور معه يستدعي الوسيط المترجم الكفاء والزمه الذي توكل له مهمة نقل المعنى وتسهيل الفهم، وضمان سلامة التواصل بين المتحاورين بدون لبس أو غموض.

2-

المعرفة بموضوع الحوار:

موضوع مشترك قادرين على فهمه وفهم أبعاده وأسواره بدون المخافات أو تأويلات أو جهل قد يسيء إلى معنى الموضوع وإلى سلامة الحوار.

3-

القدرة على الفهم والإفهام:

امتلاك ملكة الفهم والإفهام، أي فهم بعضهم البعض وأفهامهم بعضهم البعض، وذلك ضماناً لانسجام الحوار ولوظيفته التعبيرية والإفهامية.

4-

الرغبة في السماع:

المتحاورون مطالبون بالسماع إلى بعضهم البعض والتخلي بالترهت والصبر والقدوء دون إحراج المتحدث أو مضايقته...

5-

احترام الرأي المخالف:

المتحاورون مطالبون باحترام آراء بعضهم البعض مهما اختلفت وتباينت، بعيداً عن ثقافة الرفض

والإلغاء والإقصاء والتصدي وفرض الرأي الشخصي تحت ضغط ووقع وإيقاع الأناية والعصية.

6- حسن المجادلة: المتحاورون مطالبون بحسن تسير

محاورهم ومجادلة بعضهم البعض بأسلوب المنطق المحكم المنسجم والهادئ القائم على المحبة والرحان والمعرفة.

وبناء على ما سبق ذكره، لا يمكن الحديث عن حوار بناء ومفيد ومنسجم في غياب هذه العناصر وهذه الشروط والتي قد تشكل قوة تعبيرية اتصالية وتواصلية تضمن سلامة التفهم والإفهام والتقارب والاحترام بين المتحاورين.

فإن كتب للشخصين أو أكثر بالتحاور حوار ناجح ومنسجم، فهذا يعني أنهم مؤهلون للحديث لبعضهم البعض، والسماع لبعضهم البعض والاستفادة من بعضهم البعض، واحترام بعضهم البعض، وقادريين على العيش والتعايش والتقارب إلى بعضهم البعض، فالحوار مادة ومنهجية للتعايش والحب والاحترام والتفاهم.

ولعل ما يعزز قيمة الحوار هو ذلك التنوع الوظيفي للأقطاب المتحاربة في المكان الواحد وفي الزمن الواحد ويسدون مقدمات أو شروط إلا شروط احترام أخلاقيات الكلام، حيث قد يكون القطب المتحاور منلقيا أو بآثا، مرسلا أو مرسلا إليه، متكلمًا مستمعًا، ولا يمكن الحديث عن حوار منسجم ومفيد ومثمر إلا إذا قبلت الأطراف المتحاربة هذه الأدوار دفعة واحدة وبدون استثناء وذلك صيانة للكلام والمجادلة من

السلط وهيمنة أسلوب التحدث الواحد الأحادي واستغلال النفوذ والسيطرة على مساحة التعبير وإقصاء الآخر الذي يتحول إلى متلقي سلبي لاحق له في إبداء رأيه، أو المشاركة في المناقشة.

وكما يقول الأستاذ عبد الرحمن طه: "لا كلام مفيد إلا بين اثنين، لكل منهما مقامان، هما مقام التكلم ومقام المستمع، ولكل مقام وظيفة مكانها: وظيفة المعتد ووظيفة المنقذ، بحيث إذا كان المتكلم معتدًا كان⁴ المستمع منقذًا، وإذا كان المستمع معتدًا كان المتكلم منقذًا".

ومن هذا المنطلق الاتصالي التواصلي لفهوم الحوار وآلياته وأهدافه في ضبط نظام العلاقات بين الأقطاب المتحاربة، نقول، أن الحوار في تجلياته المختلفة هو حديث بين طرفين للعبور على أرضية مشتركة يتوصل ويتواصل من خلالها عن أهداف محددة. وقد تكون هذه الأرضية قيمة مشتركة كإقامة العدل والمساواة والحب والاحترام والمعرفة ونيل العنف والظلم والجهل والاعتداء، وقد تكون تحقيق مصالح مادية ومعنوية للطرفين من تبادل المنافع وقد تكون من أجل إقناع أحد الطرفين بوجهة النظر الأخرى عن طريق وسائل الإقناع والحوار قيمة إنسانية: "إذ أن البشر كما يقول أفلاطون تكمن

في قابليتهم للإقناع وذلك بإظهارهم على مختلف الوسائل البديلة والخضارة هي المحافظة على النظام الاجتماعي بواسطة الإقناع".⁵

لقد عمد بعض الفلاسفة والمفكرين والإصلاحيين ورجال القانون الدولي والسياسة على ترجمة مفهوم الحوار على مستوى أكبر وأعم وأشمل

لقد فقد الإنسان المعاصر إنسانيته، ورسم لنفسه خريطة ثقافية

وعنصرية ودينية وسياسية واقتصادية مادية أنانية متوحشة عملتها الأساسية لتحليل الرغبة الشخصية مهما كان الثمن ومهما كانت الوسيلة.

خريطة جغرافية رسمت تضاريسها ومعانها مجموعة من العناصر والمظاهر أرادها هذا الإنسان كذلك خدمة لأطماعه المادية والمعنوية والسلوكية مستعملا من أجل ذلك عدد من السلوكيات والوسائل كال حرب والمصار والإرهاب، فالإنسان المعاصر انقسم إزاء هذه الوضعية على نفسه إلى إنسانين: الإنسان القوي يحارب ويحاصر ويهرب الإنسان الضعيف.

إن المشهد العالمي في مادة العلاقات الدولية يصرح بحق هذا الواقع الإنساني العس والمآزم والتدهور حيث تم تسخير فيه مبررات وعطاءات دينية وثقافية وسياسية واقتصادية من أجل اقتحام أوطان واستعمارها وسلب ونزف ثرواتها وتكثيف وتجميع وتقتيل أبنائها، فعاد الاستعمار من جديد، واستعمرت دول دولا أخرى، وكثرت الانقلابات السياسية، وكثرت الفساد والاعتداءات والانحرافات، وعمت القوضى، وغاب العقل والفكر والإحساس والوعي، وانتشر الظلم والتوحش، وفقد الإنسان أمله في الحياة وعاصره الخوف.

وأمام هذا المشهد العالمي والذي لم يستش بقعة واحدة من بقع المعمورة، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، كان لا بد من التفكير في ثقافة السلام والمصالحة والحوار والتعايش والحرية بعيدا عن ثقافة السلاح

وإيجاد صيغة الحوار الكلامي بين طرفين متحاورين إلى صيغة الحوار الديني والثقافي والحضاري والسياسي بين شعبين أكثر وذلك من أجل خلق جو ومناخ من التقارب والتفاهم والمحبة والاحترام، فالحوار الجيد والمؤسّس بين الشعوب وفق شروط معرفية وأخلاقية يعد "أداة فعالة للضرورة الأفكار والنظريات بدل الانغلاق في قطيعات ومواقف جاهزة"⁶ قد تسيء إلى الأطراف الفاقدة إلى ثقافة ومنطق الحوار والمحادثة والمعرفة والفهم.

وانطلاقا مما سبق، نقول أن للحوار أصول وقواعد، بدونها تقلص قيمته، وتقلص آثاره، وأول هذه الأصول شجاعة الإقرار بالاختلاف، شجاعة التصريح بمواطن الخلاف والاختلاف، دون أن تقرن هذه الشجاعة بالتهور أو ينظر إليها كأداة لوقف الحوار، بل أن الحوار يكون ويتواصل بقدر ما تعلن الأطراف المتحاوره عن عمق خلافتها حتى إذا ما انطلقت الحوار، نتج عنه ما يسمح بصيغ التفارب أو ترتب عنه ما يحدد عمق الخلاف⁷.

إن الحديث عن حوار الشعوب والتعايش السلمي بين هذه الشعوب نفسها هو في حقيقة الأمر حديث الآمال والخيال، فهو حديث الإنسان المعاصر وهو يبحث عن زمن إنسانيته الضائع والمغصوب والمسروق منه في خضم أزمة حضارة الحروب والطغيان والاستعمار والاستبداد والقهر والتدمير والتفكك والنهب والإرهاب والفقر والجوع والتوحش والنفي والغربة.

الدور الأساسي والريادي في تفعيله على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي والدولي.

ومن هذا المنطلق، لا يمكن لنا أن نغفل دور المؤسسات والهيئات الحكومية وغير الحكومية في تدعيم وتعزيز وتطوير وتغذية البشر وتأسيس وترسيم ثقافة الحوار والسلام والمصالحة سواء بين أبناء الشعب الواحد أو بين أبناء الشعوب المتحاورين وحتى البعيدة جغرافياً والتي يبنى قاسمها المشترك السعي من أجل خير وسعادة الإنسان كيفما كان لونه وأصله وعرقه وجنسه ودينه.

إن حوار الشعوب هو أولاً وقبل كل شيء علم وثقافة وتربية وفن ومن ثم، لا يمكن أن يطلب من شعب ما بأن يتحاور مع شعب آخر ويحارب منه ويتفاهم معه ويتعاون معه في إنجاز مشاريع خيرية وسعيدة للبشرية إذا كان هذا الشعب أصلاً يقتل إلى هذه الثقافة وإلى هذه التربية وإلى هذا العلم وإلى هذا الفن في داخله وعند أبنائه... إن حوار الشعوب أو ما يمكن تسميته الحوار الشامل، لا بد وأن يؤسس داخل الشعوب ذاتها وبين أبنائها وفي مؤسساتها وذلك ضمن إطار ثقافي وحضاري وسياسي وديني وعقائدي منسجم ومتزن وهادئ وديمقراطي يضمن للأفراد الأمن والاستقرار وحرية التعبير والممارسات المختلفة واحترام حقوق الأشخاص والجماعات؛ وصيانة كرامة المواطن وشرفه وحماية ثرواته وممتلكاته ونموه له وسائل العمل والعيش الشريف، والتربية والتكوين الثقافي والتربوي والتعليمي المفيد. وبصفة عامة، لا يمكن الحديث عن حوار الشعوب إذا

والتيه والإرهاب والاعتداءات... وكان لا بد من تفعيل الجانب الإنساني في هذا الزمن المعاصر وفق لغة العقل والعلم والأخلاق..

عاد الوعي وعاد معه الأمل وعاد معهما حب الحياة وجمالها، لقد تعالت أصوات واعية ومسؤولة وملزمة من هنا وهناك مكتشفة ومبرزة أيضاً عمق الحقيقة الإنسانية، فنادت هذه الصيحات وبلغات مختلفة ووفق مرجعيات منبئة بضرورة التصدي لهذه الثقافة الجديدة التي شوهت المسيرة الإنسانية وانخرقت بالإنسان وثقافته الإنسانية الثالثة من فضائاته الأصلي الروحي والجمالي والعاطفي إلى فضاء حيواني متوحش.

تعالت هذه الأصوات مؤكدة على ضرورة الحوار والتقارب والتفاهم والتعايش بين الشعوب وفق مبادئ إنسانية أساسية وثابتة والتي قد تضمن دوماً وأبداً للبشرية جمعاء الخير والسعادة والاحترام والكرامة والحرية.

ولعله يكون من أعظم الأخطاء الاعتقاد أن الحوار والتعايش السلمي بين الشعوب قد تقرهما قرارات إدارية وبورجوازية من قانون إداري قد يصدر عن هيئة قانونية عالية، فإذا لم تكن هذه الشعوب بالذات مؤهلة للحوار والتعايش مع الآخر، ولا تمتلك القابلية المعرفية والثقافية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية لذلك، وفي اعتقادنا أن الحوار في أول ما يبدأ، فهو يبدأ في داخل الشعوب وفي أنظمتها الثقافية والتربوية والتعليمية والاجتماعية، حيث يكون للمؤسسات والمنظمات المحلية والجهوية والوطنية

كانت هذه الشعوب غير قادرة على توفير حد أدنى لأبنائها من الحس الوطني والحضارة والقدرة والرغبة والمعرفة من أجل أن تجعل منهم مواطنين صالحين لأنفسهم أولاً ولوطنهم ثانياً وللإنسانية ثالثاً.

3. ثقافة الحوان المنشأ والفاعلية

مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين تعالت أصوات عديدة ومختلفة ثقافة وعقيدة وإيديولوجية ولغة وجغرافية طالبة بضرورة تقارب الشعوب إلى بعضها البعض ووضع حد للحروب وللإغارات والتصدي للإرهاب في كل أنواعه وأشكاله وغطاءاته ومبرراته والذي حول العالم غربة وشرقة، شمله وجنوه إلى مساحة كبيرة "لتزايدات دموية وحروب باردة تدخلت وتدخل في نشوئها عوامل شتى سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية، وكذلك أسباب بيئية وتنموية ترتبط بتفاوت نسب السكان، وإسائة توزيع الثروات، والإجحاف في استغلال الموارد، وما يترتب على ذلك من فقدان التوازن ثم انعدام المساواة، مما يقود إلى ظهور تحديات في جانب تعكس الطغيان المادي المحرد من القيم الروحية، ومواجهة لهذه التحديات في جانب آخر نتيجة الشعور بالظلم ورغبة في التمسك ببعض تلك القيم"⁸.

لقد أصبحت نسبة كبيرة من سكان العالم فريسة الجوع والفقر والموت، فهي "تختار ظروفًا عسيرة وعصبية بما يتلاحق من مشاكل، ويتفجر من أزمات، ويتجهم الخلق من سحاب، ويتناول للمادة من نفوذ، ويتضاءل من حاه للروح وسلطان، ويشبع في النفوس من قلق وحسوف،

وبدأ على الألسنة والقلوب من أسئلة لا يطرحتها التفاوض والاستشارة، وما أشد حاجة الإنسان والظروف التي

تخطط أزماته لا تبيت الاطمئنان ولا تزهر بالأمان، إلى حظ كبير من الدعة، والعبث وفقر من التفكير فيما يعيد البشاشة، وبفيض الانسراح ويردّ

عازب الأمل"⁹.

إن الخطر بكل أنواعه وأشكاله يلاحق كل الشعوب، ولا يوجد شعب واحد في مأمن منه، فالأزمات السياسية والاقتصادية والكوارث الطبيعية والإرهاب لا لون لها، ولا جنسية لها، ولا تحتاج أبداً إلى حوزاز سطر أو ناشرة مرور أو الخروج من بلد ودخول بلد آخر... فهي تنتقل بدون رحمة أو إعلان وإنذار سابق.

لقد أحست بعض الشعوب بقوة الخطر وبالتالي ضرورة التكاتف والتعاون والتقارب والفهم من أجل تشكيل قوة إنسانية واحدة موحدة ومبعدة والتصدي لكل أنواع الخطر والشر. ولا يمكن أبداً أن يتحقق ذلك إلا إذا اتخذت الأساسيس والمشاعر والتضحت الرؤية وتخسرت بعض الشعوب من عصبيتها ومن أنانياتها ومن عقدة التفوق والفكر الانتموي مركزي مما أعيدنا عن الثنائيات التي قسمت الشعوب شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، أدياً وشمعياً، متطورا ومتخلفا، أبيضاً وأسوداً.

فالشعوب المرشحة للحروب مطالبات بتجاوز إيديولوجيتها وعصبيتها من أجل المشاركة في مجتمع واحد وقوي ومنسجم ومتزن لا إيديولوجية فيه إلا إيديولوجية الإنسان العاقل وكرامته وشرفه وحرية

وحقه في الحياة التريفة والشريفة، فهي مطالبة بالفطاهم وبناء رؤية ونظرية شاملة و"إقامة العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب والبلدول والحضارات على قاعدة من المساواة في الكرامة، والعدالة في تبادل المنافع"¹⁰.

فحوار الشعوب ليس حواراً أحادي الرؤية والاتجاه والقطبية ووفق إيديولوجية استعمارية، وإنما هو حوار جماعي يشارك فيه وفي بنائه كل العناصر الشعبية الفاعلة والمتفاعلة، فهو حوار... يكافح عزلة "أنا الصغيرة" المتجحمة ويبرز واقع "الأنا" الحقيقي الذي هو بالدرجة الأولى علاقة بالآخر، وعلاقة بالكل، وهو يعلمنا ألا نتصور المستقبل في شكل إيمان سادج "بالتقدم" ولا في صورة قبض من إنجاز مشاريعنا إنجازاً تقنياً، بل على هيئة طفرة حياة جديدة تامة بنسك (الأنا، واللاعمل واللامعرفة)¹¹.

قد يبدو أمر الحوار أمراً طوباوياً وربما مستحيلاً أو حتى إشكالياً حيث يفرض تساؤلات معرفية ومنهجية وموضوعاتية مختلفة وصعبة ومعقدة، وقد تلقي كلها حلول السؤال الكبير والأساسي والجوهري كيف تتجاوز شعوب مختلفة في ثقافتها وحضاراتها وإيديولوجياتها ودياناتها؟.

إن الحوار المنشود يقوم أساساً وأصلاً على القاسم المشترك من القيم الإنسانية الكثيرة التي ترعرع بها كل الثقافات وكل الحضارات وكل الديانات، وهي قيم مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالإنسان العاقل الذي يحكم ويعرف ويحب، إنسان كريم وشريف، إنسان حر ومحترم، إنسان يحترم الخير والسعادة والجمال، إنسان يمتثل الشر والظلم والاستبداد، إنسان

محبا للإنسان، ويحترم ويحترم كرامته وشرفه وحريته، إنسان لا يعادي على أخيه الإنسان ولا يظلمه ولا يقهره ولا يبرهه ولا يستغله ولا يستعبده، ولا يعرف ثرواته المادية والمعنوية والسلوكية.

تشكل هذه القيم الإنسانية المادة الحفزية التي تضمن للحوار النمو والازدهار وبالتالي، قد تصنع الشعوب منه المادة والمنهجية والسبب والهدف من أجل التفارب من بعضها البعض والاحتفاء ببعضها البعض والاستفادة من بعضها البعض، فالحوار هو القوة الشعبية العامة والعالية التي تشارك الشعوب المتحاربة في صنعها والاستفادة منها صيانة لنفسها ولذاتها البشرية العامة والشاملة.

إن هذه القيم التي يشارك في صنعها وفي تفعيلها كل أبناء البشر وهو ما يمكن تسميته بالتفاعل والتعايش الثقافي والحضاري والديني والذي أساسه هو المشترك الإنساني العام مفعم بإحساس إنساني أبدي لا يكون له إلا لون الإنسان ولا اسم له إلا اسم الإنسان ولا جنسية إلا جنسية الإنسان ولا مكان له إلا مكان الإنسان، ولا زمان له إلا زمان الإنسان، تعايش لا تحده حدود جغرافية أو عقائدية أو أئنية أو اقتصادية، تعايش يربط الشعوب إلى بعضها البعض حيث يتم التعارف والتواصل والحب والاتحاد من جهة ويتم استبعاد التنكس والتقاطع والتشاحن والتباغض والفرق والتحارب والتطاحن والتقاتل.

إن التعايش بين الشعوب ممكن ما دام إنسانها "يتطلع دائماً إلى احترام تلك النفس التي يقدر قيمتها فيقدم نحوها كل ما يليق بها من احترام

وتقدير، ويسمى عن طريق ضميره الذي طبع عليه بنظرته نحو الخير من الطائفة التي ترفض الآخر المختلف والتي تعتقد اعتقاداً مطلقاً في قوة ونقاء أجل تأمين حياته ومعيشته، والوصول إلى أعلى درجات احترام شخصها لها وثقافتها وما عداها، لا قيمة لها ولا وجود لها وبالتالي لا بد من وكيانه الإنساني، كما يجاهد بكل ما لديه من قوة في استغلال كل ما رفضها ورفض كيانها والتصدي لها، وهو موقف ضار وخاطئ حيث أنه يغذي نفسه من عوامل الترية العقلية والأدبية للوصول بطبيعته الفطرية نحو "لا توبعده في التاريخ القديم أو الحديث حضارة نقية أنجزها أبنائها دون أن الكمال، يتسع إدراكه في تحديد المفاهيم الأخلاقية والقيم الإنسانية، فيكون لما مع الحضارات الأخرى صلات وعلاقات وتأثر وتأثير... في وجوده في الحياة بأخلاقه الشخصية، فيعاهد نفسه بأن يكون كرم الحل مختلف مادتين الفكر وقضاياها، يستطيع العقل أن يرصد ويصير "الشواهد" في تعامله مع الآخرين وأن يسعى للوصول إلى محتهم.¹²

ونشير إلى أنه لا يمكن الحديث عن تعايش سلمي بين الشعوب خصوصية حضارية تتميز بها بعض الحضارات، وهناك شهادة التاريخ التي لم يسبقه حوار حقيقي من أجل تفعيل ذلك القاسم الإنساني المشترك هذه الشهادة الفكرية، عندما تؤكد على أن التلاقي والتفاعل اللذين والذي يشكل حقل التلاقي الثقافي والحضاري والسلمي بين الشعوب فهما التاريخ بين الحضارات العريقة، المألوفة لنا هو مشترك، وما هو و"دليلاً على أن التفاعل الصحي بين الحضارات والعلاقات العادلة والخير خاص" قد تم وفق هذا القانون، وحكمة هذا التمييز فتلاقي الحضارات، بين الأمم والدول، لابد أن تنأسس على حرية اختيار الأمم والحضارات لما هو معلوم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وتفاعلها عندما تتلاقى بناسب هويتها الحضارية المتميزة، فيدعم الاستقلال والتميز لهذه الهويات لا سبل إلى مغالبتها أو تجنيه، لكنه يتم دائماً وأبداً وفق هذا القانون وحرية الرفض لا يمنع ويشوه هذه الخصوصيات¹³.

تحافظ الشعوب على خصوصياتها التي لا تنافي وخصوصياتها وبطلان العقلاء ويجدون في السعي لتحصيله¹⁴.

إن مادة الحوار والتقارب والاشتراك موجودة في الحضارات وإن للإنسان الشريف والكرام والحر والتزيه والمادل والحب للسلم وللعد وللسعاده لنفسه وللآخر، فهي تحافظ على بعض هذه الخصوصيات مطالبة بتفعيل هذا القاسم الحضاري المشترك وخلق مناخ واحد المرتبطة بموية انتمائها بدون أن تبقى حبيسة أطروحات فكرية وأثنية ضيقة على بعض لها سلامة التعايش ويصونها من الصراع والتجاهل لبعضها ومغلقة والتي قد تسمى إليها وإلى غيرها من الشعوب الأخرى فتؤدي ما تؤدي، فطبيعة الحضارات الإنسانية تحمل بين طياتها عناصر مادية ومعنوية إلى الوقوع في فكر وثقافة عصبية مدمرة وقاتلة، عصبية لا تقوم إلا بالأناكفة إذا تم استغلالها استغلالاً حساساً قد تكون مادة خصبة للحوار

4. مصادر ثقافة الحوار:

في اعتقادنا لا يمكن الحديث أصلاً عن حوار الشعوب فيما بينها قبل الحديث عن حوار فعلي عند وفي ثقافة الشعب الواحد، ولعل ما يؤهل هذه الشعوب نفسها على تأسيس حوار داخلي وضمان سلامة فاعليته بين أبنائها هو العناية والتكفل بالعائلة والمدرسة والمؤسسات الدينية ومراكز الثقافة والفن والجمعيات والتنظيمات السياسية، ووسائل ومؤسسات الإعلام والاتصال.

قد تشكل هذه الفضاءات الإطار اللائق والملائم وبامتياز لتأسيس ثقافة الحوار ورعايته وضمان له التربة الخصبة لينمو ويتطور ويتشعب ليصبح ثقافة أسلافية واجتماعية وإيديولوجية وعقائدية تقرب أبناء الشعوب ضمن عائلة واحدة موحدة من حيث الآلام والآمال.

وعلى هذا الأسس، فلإن حقيقة الحوار وتجلياته عند الشعوب والوفد أصلاً وأساساً على طبيعة ومستوى ودرجة الحوار عند الشعب الواحد المتفاعل مع الشعوب الأخرى، عند هذا الشعب ذاته وفي داخله، أي حوار داخلي والمقصود به "هو حوار نظمته الداخلية في مختلف

البلدان

الحياة الاجتماعية، حيث تكون هذه النظم في محرى تفاعلها الروح الثقافي "للأهم، والمقصود بالروح الثقافي هنا هو منظومة المرجعيات لإنتاج الثقافة نفسها وباعتبارها القوة الروحية (العاقلة) والمادية

الفاعلة في بلورة خصوصية الحضارات"¹⁷.

والتفاعل بينها، "ولكي يكون الحوار حواراً هادفاً، مؤثراً وتفاعلاً فاعلاً وباتناً، يجب أن يقوموا على قاعدة الاحترام المتبادل، بالمعنى الأخلاقي الرفيع وبالمدلول الحضاري السامي، كما يجب أن يقوم الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات على قواعد اجتماع البشر على صحتها وسلامتها وانعقد إجماع الإنسانية على اعتبارها القانون الذي يحكم المجتمع"¹⁵.

وفي اعتقادنا، أن التقارب بين الشعوب لا يمكن إلا أن ينطلق من هذا التفاعل الحضاري والثقافي المشترك والذي قد يشكل المادة الحصة والأساسية، وبامتياز لنفاهم حوار قد يفتح المجال واسعاً للشعوب من أحد التعاون والتلاحم والاستفادة من تجارب بعضها البعض، حوار يغذي من تاريخ هذه الشعوب ومن ثقافتها وحضارتها وديانها، ويلهمها في الوقت نفسه المادة والوسيلة من أجل تدعيم التقارب وترسيخ احترام أحد وتسامح أقوى وأعمق وتعاون أمتن، وتعايش أسلم في إطار ثقافة جديدة ثقافة تحب الخير للبشر وبالتالي فهي "الوسيلة الوحيدة لبقائهم واستمرار ثقافتهم، فإن هذا التقارب في الشكل الحديث للمجتمع الدولي لم يعد غاية لذاته، وإنما أصبح وسيلة للتعاون على تحقيق الخير للإنسانية، وهو يؤكد بأن حاجة الشعوب إلى بعضها البعض ضرورة حتمية لاستمرار بقائها في الحياة، وبأنه لا يمكن لأي دولة أن تعيش بمعزل عن الدول الأخرى، بل هي في حاجة دائمة إلى الاتصال بكل أعضاء الأسرة الدولية لكي يكتب لها الوجود والتطور من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفنية والثقافية والسياسية"¹⁶.

1-4: العائلة وثقافة الحوار:

تلعب العائلة دوراً أساسياً في تربية الفرد وتوجيه ثقافته توجيهها سليماً يمتاشي ومتطلبات الثقافة الإنسانية الجديدة بصورة عامة "فمن المهام الأساسية للتنشئة الأسرية التي هي حزمة لا يتجزأ من التنشئة الاجتماعية قيمة الفرد على أداء الوظائف المطلوب منه والتزود بالمهارات والكفاءات التي تجعله قادراً على خدمة الأسرة والمجتمع واكتساب الآراء والمعتقدات والقيم التي توجه سلوكه وتفاعلاته بما ينسجم مع توجهات وأهداف المجتمع".¹⁸

يولد الفرد وينمو ويتربى في ثقافة وتربوا في أحضان الأسرة التي تعلمه أسلوب الحياة التوبة والشرقية مادياً ومعنوياً وسلوكياً حيث يتفاعل مع مجموعة من الأوامر والنواهي التي تضمن له سلامة الانسحاب إلى عائلته وإلى مجتمعه الصغير أي وطنه وإلى مجتمعه الكبير أي الإنسانية، فيتمتع الاحترام والحوار والتسامح والفتاة والانضباط والتعاون.

تضمن العائلة لأبنائها الجو المناسب للنمو الثقافي والتربوي والصحي كما يتعلم الحوار والتخاطب وفق قانون أخلاقي حيث يحترم الآخرون ويتواصل معهم الذين هم أيضاً مطالبون باحترامه كذات بشر تتمتع بحقوق وعليها واجبات.

وفي اعتقادنا، لا يمكن الحديث عن ثقافة حوارية "في بنية العائلة الهرمية التي تقوم على أساس العمر كما تقوم على أساس الجنس، فالصغار تقلبداً عليها علم الكبار وتوجب عليهم الطاعة شبه المطلقة في علاقة ساطورية، وبما

التواصل تقليدياً بين الكبار والصغار ليس أفقياً بل عمودياً، فيتخذ من فرق إلى تحت طابع الأوامر والتوجيه التعليمات والفتن والممنع والتحذير والتوبيخ والتوبيخ والتوبيخ والتوبيخ والاستهزاء والإذلال والخدمة والتعظيم وتوليد الشعور بالذنب والقلق... إلخ، وقد يقرن هذا التواصل من فوق إلى تحت بالعقاب والحرمان والفضب، والصغيع والإقصاع... أما التواصل من تحت إلى فوق فيتخذ طابع الترحي والإصغاء والرفع الفساري والانصياع والاسترخاء والشذال والاستعلام والتربيد والتساوب والاستجابة مقترناً بالكفاء والكبت والصمت والانسحاب وإعطاء الرأس والمراقبة الذاتية وإخفاء الأسرار والمشاكل والتكتم والتخفي والدمج والمكر والمسايرة والاستغابة والحذر والإحساس بالذنب والقلق والخوف والرضوخ... إلخ، ويأتي كل ذلك نتيجة لعلاقات الاستبداد التي تسود فلسفة تربوية تقوم على الترهيب والترغيب وليس على الإقناع.¹⁹

لا يوهل هذا الواقع التربوي للأسرة لأن تصنع طفلاً قادراً على التفكير الحر وعلى الحوار مع الآخر واحترامه، فهو يعيش مقموعاً مقهوراً في أحاسيس بنفسه وبالأخريين، ولا نعتقد أن مثل هذا النظام العائلي قد أصبح يوماً فرداً. سليم التفكير وواضح الرؤية للكون والأشياء وقادراً على التعامل بنفسه وبالأخريين والتعاون والتعاون معهم من أجل العمل المشترك

في ظل المادى الإنسانية السمعاء.

وحين تستطيع العائلة مسايرة الأحداث والمشاركة في بناء مجتمع أصلي مترن ونزبه وتكوين جيل صالح لنفسه ولعائلته ولوطنه ولأنسائه

أفراداً يذكرون ويتحاورون بقدر ما أنتجت أفراداً مستخلفين فكرياً وثقافياً أعداء لبعضهم البعض، وللإنسانية.

تعد المدرسة المؤسسة القوية التي قد تضمن للقرود تكويناً علمياً وإلهاماً صالحاً وقوياً، حيث يتعلم في رحابها العلوم النافعة له ولغيره، وثقافة السلام والحوار ونبذ العنف وتصدي لكل الأفكار المتطرفة والعصبيات والارومات الأتنية الضيقة والصراعات الإيديولوجية الجاهلية.

إن الشعوب المحبة للحوار وللسلم وللتعايش، مطالبة بالتفكير الحدي والتكفل الصحيح والسليم بمخطوماتها التربوية تكفلاً علمياً سليماً بطرحها وبصون أبنائها من الانحرافات التي قد تعصف بها وبكياكها الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والإنساني، وحتى تساهم المدرسة في تأسيس حوار داخلي أي بين أبناء شعبها من جهة، ومن جهة أخرى بين أبناء شعبها وأبناء الشعوب الأخرى، لا بد وأن تراعى برامجها التعليمية وتوظفها وتظهرها من كل ما قد يكون سبباً في زرع الحقد والكراهية للآخر، فهي مطالبة باختيار برامج تدعم الحوار والمحبة واحترام الثقافات والشعوب، فالمدرسة فضاء خصب ومثر لثقافة الحوار والسلام والسلام والتعاون مع الشعوب الأخرى.

فالمظومة التربوية، وفي مختلف مستوياتها مطالبة بالتكفل العلمي الحدي والحدي والصارم في ضبط البرامج التعليمية والنهائج والأهداف وفق ثقافة علمية وأخلاقية ثابتة، بعيداً عن التحجر والتقليد والتسلط الذي

جنسه لا بد وأن تؤسس لنفسها ثقافة سليمة تقوم على الاحترام وحب الفرد وحته على الجد والمحبة والتعاون والتسامح والحوار والترب المحسنة كما تضمن لأبنائها الأمن والاستقرار "وتلقينهم بأخلاق وقد ومقاييس ومعتقدات وأهداف المجتمع الذي تعيش فيه وتتفاعل معه، لا تساعد عملية التنشئة الاجتماعية التي تبناها العائلة على تكوين الشخص النموذجية عند الفرد والتي تعبر عن شخصية وأخلاقية وذاتية المجتمع الكبير".

لا يمكن بأية حال من الأحوال التكر لأهمية العائلة في التنشئة الاجتماعية للأفراد وتزويدهم بطاقات ثقافية وفكرية وأخلاقية وحباً وتحضيرهم تحضيراً مادياً ومعنوياً وسلوكياً يؤهلهم للمشاركة في القضا الإنسانية الكبيرة والتكفل بها في إطار ثقافة الحوار والتفاهم والتفكار والتعاون مع أبناء شعوب المعمورة من أجل خير وسعادة الإنسان.

2-4 المدرسة وثقافة الحوار:

لا بد من الإشارة إلى دور المظومة التربوية في زرع وتأسيس وتدعيم ثقافة الحوار بين الأفراد وذلك بتبني برامج ومناهج تعليمية وتربوية ونزيهة وشريفة هدفها تكوين رجال الغد قادرين على التفكير والتحليل والمساءلة وفق أسس معرفية وموضوعية نزيهة خالية من بر الإيديولوجيات المزيقة والصراعات الأتنية الضيقة التي أصابت المجتمس التربوي والتعليمي وشوهت مسيرته وعرفلنت نشاطه الذي لم يعد

كما أنها مطالبة بال العناية الكبيرة بعملية الترجمة، أي ترجمة آداب وثقافات وعلم وفنون الشعوب المختلفة، كما أنها مطالبة أكثر بفتح سوق للكتاب الأجنبي لقراءة ولاطلاع على إنتاجات الآخر، ومعرفتها والاستفادة منها، العاملة النفعية المادية والمعنوية والسلوكية، أو من حيث الفاعلية الثقافية والسياسية ذات البعد التحاوري والتقارب والتفاهم والمحبة والصداقة والتعاون والاحترام، "فلندرس والمعاهد والجامعات تعدو صروحاً ضخمة مثل هذا الحوار الأدبي الحضاري ووسيلة نافذة من وسائله، ذلك أنها المكان الطبيعي لتعلم آداب الأمم الأخرى والاطلاع عليها ومناقشتها والاستفادة منها واحتوائها في أحيان كثيرة، فالجامعات ومعاهد العلم لا تغفل عن مادة الأدب ولا تخلو هذه من قسم يختص بدراسة الآداب العالمية وشخصياتها والأزهار، وهو الدور الذي تقوم به على العموم كليات الآداب في الجامعات التي تمكن الحوار الراقي حول هذه الآثار والشخصيات، بالإضافة إلى الاختصاص في أدب من الآداب الأجنبية التي لها علاقات إنسانية فيما بينها".

المؤسسات الدينية وثقافة الحوار

تقوم المؤسسات الدينية بدور مهم في تأسيس ونشر ثقافة الحوار الناس، ولعل أهم هذه المؤسسات والتي هي أصلاً مؤهلة لهذه المهمة النبيلة والقداسة وفق مبادئ دينية دعوت إليها السديانات السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، نذكر المساجد والزوايا والكتاتيب والكنائس وبراكنر النشاط الثقافي الديني عبر العالم.

فقد التطور والمناقشة والمساهمة وروح النقد والتحليل، فهي مطالبة بزرع ثقافة الحوار والاحترام والدين بتحليل غير غطتين النتين:

1. الحوار والاحترام بين الأقطاب التفاعلية من حيث الفعل البيداغوجي أي حوار المعلم مع زميله المعلم، واحترامه له، وحوار المعلم مع التلميذ واحترامه له، وحوار التلميذ مع زميله التلميذ واحترامه له، وحوار الإطار الإداري مع المعلم ومع التلميذ واحترامه لهما.

2. الحوار والاحترام للآخر، فالمنظومة التربوية والتعليمية مطالبة باختيار برامج ومضامين تدريسية تحترم فيها وعبرها الشعوب الأخرى والابتعاد عن الرؤية العدائية والاحتقارية لها، وتفاذي تعليم المتدربين الأساتذة إلى ثقافة وتاريخ وحضارة الشعوب المختلفة... فهي مطالبة بتوظيف قيم ومناهج تسعى من خلالها إلى زرع روح الاحترام وتقديم الإبداعات الأدبية والفكرية والحضارية والدينية للشعوب، إن المنظومة التربوية مطالبة اليوم، بتعليم التلميذ الجديد قواعد الحوار والاحترام.

وأن تجعل منه فرداً قادراً على التفكير والتحليل والنقد وفق أطر علمية وتربوية وشريفة، لا أن تجعل منه وعاءاً يبدأ غوجياً تكس فيه معلومات وأفكار لا تفيد وربما خاطئة وخطيرة تسيء له، ولثقافته الإنسانية الشاملة وفي اعتقادنا، أن المنظومة التربوية المرشحة لهذا الدور الريادي في تكوين جيل جديد، وصالحه لتحمل مسؤوليته الإنسانية، فهي مطالبة بإدراج معطيات وأفكار جديدة تماشياً ومتطلبات المرحلة الزمنية الجديدة... فهي مطالبة بالتكفل العلمي بضرورة لغات الشعوب وثقافتها وحضاراتها

بضرورة تدريجية وبأسلوب دلالي ووظيفي عقائدي تكاملي، فهي تبني وتكمل العمل الديني بدون صراع أو تضارب وبدون أن تسيء للإنسان والإنسانية أو تلحق بالآخر المختلف أي أذى أو ضرر مادي أو معنوي.

لقد جاءت الديانات السماوية التوحيدية الثلاثة لتكريم الإنسان والحرره، فجاءت اليهودية بأحكامها الشرعية لترسم للإنسان بعض المعالم الدنوية التوجيهية، وجاءت بعدها المسيحية بقوة حبها ومودتها للإنسان لعل في نفسيته قرة الحب والتعاطف والتعاضد، وجاء الإسلام بقوة تعاليمه السلمية والسليمة، كوعاء مقنس ثقافي واجتماعي وأخلاقي، جمع كل ما جاءت به الديانتان السابقتان وما لم تأت به، فكان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين، جامعاً مانعاً لكل القيم السامية التي أَرادها الله لعباده المؤمنين وقد تبين الرسول الأكرم محمد (ص) مبدأ الحوار والتخادعة منهجاً ومنهجية في نشر المبادئ الإسلامية السعاء بين الناس.

لقد تبين الإسلام مبدأ الحوار وسيلة فعالة وإجرائية في دعوة الناس إلى الإيمان وفي توجيههم وتقفيهم وتربيتهم وتعليمهم مبادئ دينهم، سواء أكانوا مؤمنين مسلمين أو مؤمنين يهوديين أو مؤمنين مسيحيين، أو غير المؤمنين من الكفار والملحدين أو حتى أعداء للإسلام، فلم يندع ولم يعمل في يوم من الأيام أسلوب القوة والبطش والعنف، لقد كان أسلوبه أسلوب الحوار: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وحادلهم

فالأکید المؤکد أن الديانات السماوية التوحيدية جاءت لتخرج الإنسان من الظلمات إلى النور وتحرره من كل أنواع الظلم والاستبداد والعبودية والشر، وترسم له طريق الخلاص والنجاه من هموم الدنيا وهول الآخرة، إن الديانات التوحيدية الثلاثة لم تكن في يوم من الأيام لتتآلف بعضها البعض أو لتتصارع مع بعضها البعض أو لتخلق الفتنة والعداوة والكراهية والحقد والتطعن والتقاتل بين المؤمنين، فهي ديانات متحدة مؤدية إلى بعضها البعض من أجل عقيدة توحيدية واحدة قوامها تقار وطهارة سلوك الفرد المؤمن وإيمانه بالله الواحد القهار لا شريك له. فالفر المؤمن والمؤمنين، مطالب بالإيمان بالله وبإصلاح مجتمعه واحترام أخيه والتقرب إليه ومساعدته وحيه له وعدم الاعتداء عليه أو على شربه وعرضه ورزقه وممتلكاته.

ولا يمكن الحديث عن التقارب إلا إذا استطاع المتدينون تجاه الخلافات والاختلافات الإيديولوجية الدينية المزیفة والتي لا تمت إلى الديانات السماوية بأية صلة، فهي من وحي ومن صنع ومن إبداع المتطرفين الذين انحرفوا بالفعل الديني وأكسبوه قيمة وأوصافاً متطرفاً تكفيرية والتي تعتبر الآخر المختلف ديناً وعقيدة عدواً وكافراً، وجب محاربته وأباح قتله.

إن الديانات السماوية التوحيدية الثلاثة، وكتبها الثلاثة من تدر وأنجيل وقرآن، ورسالتها وأنبياءه الثلاثة من موسى وعيسى ومحمد علي صلاة الله وسلامه، كلها من وحي الله ومن توبله، بعضها للإنسانية جمعاً

العائلة والأخوة والمساواة وإلى خلق الحوار بين الأديان السماوية منطلقاً من المبدأ الإسلامي في الدعوة إلى الكلمة السواء التي نادى بها الآية القرآنية: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله" 20.

ومن هذا المنطلق، فإن الفقهاء والأئمة ورجال الدين والزهاد والعلماء والمثقفين على الهيات والجمعيات والمراكز والمؤسسات الدينية الشعبية مثل الزوايا أو العالة مثل المدارس والمعاهد فهم مطالبون بأن يسعوا لأنفسهم ولن يتبعهم ولمن يتلف حيويتهم، ويحضر في جلساتهم ويطلع ويستمع لدروسهم وخطبهم ووعظهم، - أن يصنعوا - خطاباً دينياً سليماً وسليماً، يقوم أصلاً وأساساً على الموعظة الحسنة والاحترام والجمعة والتمام والتعاون والأمن والاستقرار ونبذ العنف والتطرف والتعصب والإرهاب.

النشاط الثقافي والفني وثقافة الحوار:

يشير النشاط الثقافي بدور ريادي وأساسي في نشر وتدعيم ثقافة الحوار والتقارب بين الشعوب وذلك وفق منهجيتين اثنتين:

✓ المنهجية الأولى: تتمثل في ذلك النشاط الثقافي والفني الجمالي

والعمل الوطني والموجه للمواطنين أجمعين، باختلاف شرائحهم الاجتماعية، حيث تسمى الهيات والجمعيات والمؤسسات المشرفة على هذا النشاط إلى انتشار وبرجة أنشطة ثقافية من أفلام ومسرحيات وندوات وقرارات أدبية

بأنه هي أحسن 20، "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" 21، "لكم دينكم ولي دين" 22.

لقد جاء الإسلام للناس جميعاً، دون تمييز أو تفرقة بين عرب وأعجمي إلا بالتقوى، جاء ليضمن لكل الناس الحق في الحياة الكريم والشريفة، وكذا الحريات المختلفة في التعبير وفي الممارسات الدينية: "كما التمس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" 23، "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أكرمكم عند الله أتقاكم" 24.

لقد أكد الإسلام في عديد من عخطاته المقدسة في كتابه العزيز الكريم على الحوار كأجراء منهجي قد يضمن سلامة الاتصال والتواصل والتعارف والتعاون والمحبة، إن التفاعل الديني الصحيح والسليم بين الديانات التوحيدية الثلاثة قادر على حماية الذات البشرية من الشر بكل أنواعه وأشكاله من تقاتل وتطاحن واعتمادات إرهابية وتدمير ونكبات الذات وطغيان الأنا المتفطرة تحت وقع وإيقاع العصبية والتطرف الذي يندفع الخرفا بالدين وبالتدين الخرافات خاطئة وخطيرة شوّهت الفكر العقائدي لدى الإنسان المتدين المعاصر.

لقد حثت الديانات السماوية التوحيدية كلها على ضرورة احترام الإنسان لأخيه الإنسان وعلى ضرورة التعاون على البر والتقوى "فالأدب السماوية قادرة على إشاعة السلام والتفاهم بين الأمم وتحقيق العاد والمساواة بين الناس جميعاً، وعلى محق أسباب الحروب والعداوان لنحفظ

شعرية أو قصصية، وسهرات فنية وموسيقى ورقص ومعارض فنية، تدعم وتشتت ثقافة الحوار والسلم والاحترام والتقارب، أي لا بد وأن يتم اختيار الأعمال الفنية والإبداعية، والأنشطة الثقافية ذات المضامين الغنية والزاهرة بالقيم الأخلاقية والإنسانية الداعية إلى الخير وإلى المحبة وإلى الحوار وتفادي الأعمال الفنية والأنشطة التي تحمل بين طياتها ما قد يحسي أو يشتر التعرّات الأثنية والعرقية والعصبية والجهوية والعنصرية والصراعات بكل أشكالها وأنواعها، على مستوى الثقافة الوطنية الواحدة وبين أبناء الشعب الواحد، ولا بد أيضاً من تفادي إثارة الحقد والكراهية ضد الشعوب الأخرى من خلال الأعمال الثقافية والإبداعية التي يكون قد حملها أصحابها الثقافي العدائية والعدوانية. وقد يكون لهذا الاتجاه الأول في توجيه النشاط الثقافي والفني توجيهها وطيا مفيداً، دور أساسي في خلق ثقافة الحوار وثقافة الاحترام وثقافة الذوق الفني والثقافي السليم والفني بالقيم الإنسانية والأخلاقية.

✓ المنهجية الثانية:

تمثل في ذلك التبادل الثقافي بين الدول والشعوب وتنظيم المظاهرات الثقافية والفنية ذات الطابع الدولي، حيث تسافر ثقافة شعب نحو شعب آخر، ويتم عبرها التعارف والتقارب والتبادل والتعاون، فتعارف الشعوب على بعضها البعض من خلال ما تعرفه أيضاً على بعضها البعض من أنشطة ثقافية وفنية، غتارة وجميلة وغنية بالقيم الإنسانية والأخلاقية، فيتم التفاعل الثقافي والذي هو شكل من أشكال الحوار من أجل التقارب والتعاون ثقافياً وفنياً وجمالياً، ومن هذا المنطلق

يصبح التفاعل بين الإنسان والآخر مقبولا ومطلبا فكريا، والثقافة تنتج وما ذاتها واختيارا سلوكيا ونظرة إلى الحياة والكون واسعة الأفق رجبة في المطر إلى الآخر، حيثما كان ذلك الآخر ثقافيا أو حضاريا، والثقافة ظاهرة إنسانية تعبر عن قدرات المجتمعات على الإبداع المزددي إلى التعددية الفلسفية في أشكال الثقافة... ولذلك لا بد للحوار لكي تتلاقى الثقافات والتكامل في نظرنا للحية الإنسانية وتكامل للدفاع عن القيم العظيمة التي نؤمن الكرامة الإنسانية لجميع الشعوب²⁶.

4- وسائل الاتصال والإعلام وثقافة الحوار :

لا يمكن لأي واحد أن ينكر دور وسائل الإعلام والاتصال في نشر ودعم ثقافة الحوار داخل الوطن الواحد وبين أبنائه أو بين الأوطان المختلفة وأبنائها المختلفين.

وقد تعد هذه الوسائل من أنجح وأقوى الوسائل المادية والمعنوية في التقرب بين الشعوب وخاصة ما تعرفه اليوم من تطورات وثورات علمية وتكنولوجية جد معتبرة، فلم تعد تحدها حدود مكانية أو زمانية، فالمر أو المعلومة تسافر في زمن قياسي من شعب إلى شعب آخر، ومن ثم إلى ثقافة أخرى، ومن رقعة جغرافية إلى رقعة أخرى... ومن هذا المنطلق، فإن المنظمة الإعلامية المرشحة للنقل بثقافة الحوار مطالبة بأن تكون أريهة وذات مصداقية وذات نزعة علمية وأخلاقية في نشر الخبر والمعلومة دون الإساءة إلى الآخر ودون نشر الأكاذيب وما قد يشعل نار الفتنة سواء داخل الوطن الواحد وبين أبنائه أو بين الشعوب الأخرى،

ودون إصدار أحكام خاطئة وخاطئة في حق هذه الشعوب وفي حق ثقافتها وفي حق سيادتها. فقد تستثمر الحكومات والتنظيمات والهيئات المنظومة الإعلامية استثماراً فعالاً وإيجابياً من أجل خلق ونشر ثقافة الحوار والسلام والاحترام.

كما قد تكون وسيطاً بين هذا الشعوب من خلال ما تنشره منظوماتها الإعلامية من مواد إعلامية وطنية موجهة لأبنائها أو من خلال ما تنشره من مواد إعلامية أجنبية خاصة بالشعوب الأخرى من أخبار ومعلومات وتحقيقات وصور حول هذه الشعوب ذاتها وثقافتها وحضارتها وديانتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وأنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سواء أكانت إيجابية أو سلبية.

إن المنظومة الإعلامية قد تشكل المنهاج والمادة بامتياز لتدعيم ثقافة الحوار سواء على المستوى الوطني أو الدولي، وخاصة وأن هذه المنظومة ذاتها يطبق عليها بالسلطة الرابعة، ولها من الإمكانيات المادية والمعنوية والسلوكية ما يوهلها لأن تكون وسيلة قوية وفعالة في بناء ثقافة الحوار والسلام بين شعوب المعمورة التي تتواصل فيما بينها ترابطاً إعلامياً حياً ومستمر، فهي تقرأ لبعضها البعض، وتقرأ عن بعضها البعض.

4-6 المنظمات الجهوية والدولية وثقافة الحوار

إن عدداً من المنظمات والهيئات السياسية والثقافية والعلمية والجهوية والعالمية تأسست أصلاً وأساساً من أجل نشر وتدعيم ثقافة السلام والسلام في العالم والعمل من أجل فض النزاعات والحروب القائمة

وهناك بين الدول ومساندة الشعوب في تقرير مصيرها والحصول على الاستقلال، كما ظلت هذه المنظمات تسعى جاهدة إلى دعوة الشعوب إلى النأي والاحترام والتقارب والتعايش السلمي.

لقد كانت تدعيمات هذه المنظمات لمبدأ الحوار تدعيماً مادياً ومعنوياً وسلوكياً، كما سهرت على تنظيم ندوات وملتقيات وإرسال بعثات إلى كل مناطق العالم من أجل نشر وتدعيم الحوار بين الشعوب كثقافة وتربية وتعليم وفن، سواء داخل الوطن الواحد الذي قد يعيش بعض النورات الداخلية، أو بين الأوطان المتطاحنة فيما بينها لأسباب سياسية واقتصادية، أو داخل الوطن الواحد المختل والمستعمر من قبل قوى أجنبية استعمارية.

لقد أحست هذه المنظمات إحساساً كبيراً أن الحوار والنحو أصبح ضرورة ملحة في خضم هذا العالم الجديد الذي انتشر فيه الظلم والاستبداد والاستعباد وديكتاتوريات الأنظمة السياسية التي زرعت الرعب والنفخ والإرهاب بين الشعوب.

ولم يلب إلى أنه لا يخلو اجتماع أو وثيقة صادرة عن هذه الهيئات وعن العاملين فيها دون الحديث والدعوة إلى الثقافة والسلام والسلام ونيل العنف والتطرف والحروب، وقد يتجلى هذا على سبيل المثال في ذلك التقرير الشهير الذي أعده مجموعة من المفكرين والسياسيين والخبراء تحت لواء منظمة اليونسكو سنة 1949 ونصه: "إن مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقة بين الحضارات، ومن هذه العلاقة يجب أن يظهر مجتمع عالمي

جديد على أساس التفاهم والاحترام المتبادل، ويجب أن يتبنى المجتمع نزعة إنسانية جديدة، بحيث تتحقق فيه العالمية من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة في الحضارات المختلفة، وفي إعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي في سنة 1966 والذي أصبح أحد المحاور الأساسية لليونسكو في مجال الثقافة ينص هذا البيان في مادته الأولى:

1. كل حضارة لها اعتبارها وقيمتها التي يجب المحافظة عليها واحترامها.

2. كل شعب له الحق وعليه واجب تنمية حضارته.

3. كل الحضارات بما فيها من تنوع واختلافات عميقة وتأثير متبادل على بعضها البعض جزء من الإرث العام للبشرية.²⁷

ومن هذا المطلق، فإن هذه المنظمات ولهيئات مطالبة بالعمل بما وبإخلاص وعلى مستوى أعم وأشمل من أجل نشر ثقافة الحوار والسلام، والتي أصبحت قيمة مفقودة في عدد من مناطق العالم، وتقتصر فادحا في ثقافة الشعوب...

فسواء أكانت هذه المنظمات عالية ودولية أو جهوية وإقليمية أو محلية ووطنية، فهي مطالبة بصيانة كرامة الشعوب كبقية كان لوها وأصل وعقليتها وموقعها من الكرة الأرضية، فمفوضية الأمم المتحدة، ومفوضية الأمم المتحدة للثقافة والتربية والعلوم، واتحاد الدول الإفريقية وغيرها من المنظمات قد تلعب دورا مهما وأساسيا في تدعيم ونشر ثقافة الحوار بين الدول والشعوب...

إن هذه المنظمات ظلت فاعليتها في كثير من الأحيان محدودة ورعاية لمية من الفشل وذلك للضعوبات المادية والمعنوية التي اعترضت سبلها ومعناها من القيام بواجبها، حيث فرضت عليها بعض التوجهات السياسية والإيديولوجية والاقتصادية من قبل أنظمة وحكومات ديكتاتورية أو استعمارية مستعملة حق الفيتو والندخل في شؤون تسييرها، فإنها تبقى أساسية ومهمة في فض عدد من التزايدات وعدد من التوترات في العالم والعمل على نشر ثقافة الحوار والسلام، وهي القيم الأساسية التي تأسست من أجلها...

5. من الصراع إلى الحوار

لقد انتهى القرن العشرون وحل القرن الواحد والعشرون تحت وقع والمخاضات السياسية والاقتصادية والثقافية، صراعات كانت لها امتدادات مست عمق الشعوب وكيانها المادية والمعنوية، صراعات تعدت الحدود الجغرافية، لتحمل عناوين شاملة وعامة، اشركت في صناعتها شعوب مختلفة، فأصبح الحديث عن صراع الثقافات، وصراع الحضارات وصراع الديانات، وقد روج لفكرة هذه الصراعات إيديولوجيات ومذاهب دينية وفكرية وفلسفية مزيفة وحاطقة وحطيرة، واجتهدت كاذبة الاتحاد لها مبررات تاريخية وحضارية وثقافية، كما اجتهدت في صناعة لها إطار معرفي من أجل احتضان إشغاعاتها المختلفة في قالب صاحب وعنيف الصغرى والسلوكية.

غير أن واقع الأشياء والوقائع والأحداث والحقائق أثبتت كم مرة أن هذه الصراعات وهيمية، ولم تكن في يوم من الأيام بدليل أن الثقافات لا تصارع، والحضارات لا تصارع هي الأخرى، والديانات لا تصارع أبداً، فكلها ومجملها وجدت أصلاً مكتملة لبعضها البعض من أجل سعادة الإنسان، فهي وإن بدت مختلفة، فإنها تحمل نفس القيم الأخلاقية والإنسانية، وأن قاسمها المشترك يمنعها من أن تصارع فيما بينها، "الحضارة لم تكن في يوم من الأيام صراعاً، بل كانت تأخياً وتعاوناً... الحرب والدمار والصراع، ليست من الحضارة في شيء، المتحضر لا يتحرب ولا يهدم.. التحضر يعني البناء، كما يعني الإزدهار وتعميم النمدن أينما حل... لم تستعمل هذه الكلمة إلا في الموقع الحسن من المعنى: التحضر... وهو الذي يكتشف المعاني الجميلة: من سن القوانين والدساتير ولتفكير الهادئ وحماية الحريات وتعميم الديمقراطية وتوفر العدالة والمساواة واستيلاء الأفضل ونسل التاريخ الصحيح".²⁸

إن الصراع الذي سكن تخيال الشعوب وكاد أن يعصف بثقافتها وحضاراتها وأديانها لم يكن صراعاً حقيقياً بقدر ما هو صراع إيديولوجي واستعماري وأطماع وأطماع أنظمة اقتصادية لدول كبرى وشركاها الاستعماريين وأطواق لها وإخضاع الشعوب ضعيفة لسلطتها ولحرب خمرها تبحث عن أسواق لها وإخضاع الشعوب ضعيفة لسلطتها ولحرب خمرها ومواردها وثرواتها المعدنية والطبيعية إن الصراع المروج له، ليس صراعاً اقتصادياً وتوسع ثقافياً ولا حضارياً ولا دينياً، بل هو صراع مصالح اقتصادية وتوسع واستعمارية من وحي ومن تخطيط النظام الرأسمالي من أجل المزيد من الربح

والربح وإدارة أزماته الاجتماعية والاقتصادية وتصدير متوجحه وتخريبك مصاعبه وصيانتها من البطالة والإفلاس وهذا ما قد يجعل المشهد العالمي يربح لصراعات قوية وفناكة ومدمرة وقاتلة افتعلتها شرَكَات رأسمالية وأنظمة استعمارية جديدة، همها الأول والأساسي البحث عن الأسواق وعن الموارد الطبيعية والثروات المعدنية من بتروئيل وغاز وحديد وفوسفات وذهب وفضة وغيرها من الثروات التي تختزنها أراضي الشعوب الضعيفة. هذه الشعوب التي هي مطلوبة بالتقارب من بعضها البعض والتحارب من أجل العددي لهذه الاعتمادات: "وأن يكون هذا التصدي، بل ينبغي أن يطل من قلب أنشطة وتحركات التشكيلات والأبنية الاجتماعية لشعوب العالم التي تعاني اليوم حياتياً ومصطلحياً وقيماً من أخطار ومحسن ومآسي سياسات هذه العولمة، إنها ليست مجرد دعوى يوتوبية، بل هو واقع إنساني أحد مبرح اليوم وينمو ويتحرك ويتسع لقوى بشرية عديدة ومتنوعة في مختلف أنحاء عصرنا الراهن وهي قوى عاملة وعالية، متحركة ومتنقلة ومتممات مدنية، وهيات ونقابات واتحادات وتنظيمات وتحركات مجتمعية وحضاراتها وأديانها لم تكن صراعاً حقيقياً بقدر ما هو صراع إيديولوجي واستعماري وأطماع وأطماع أنظمة اقتصادية لدول كبرى وشركاها الاستعماريين وأطواق لها وإخضاع الشعوب ضعيفة لسلطتها ولحرب خمرها تبحث عن أسواق لها وإخضاع الشعوب ضعيفة لسلطتها ولحرب خمرها ومواردها وثرواتها المعدنية والطبيعية إن الصراع المروج له، ليس صراعاً اقتصادياً وتوسع ثقافياً ولا حضارياً ولا دينياً، بل هو صراع مصالح اقتصادية وتوسع واستعمارية من وحي ومن تخطيط النظام الرأسمالي من أجل المزيد من الربح

إن الصراع أو الصدام المبرج له ثقت وقع وإيقاع الثقافات والحضارات والديانات إنما هو وهمي ومزيف وكاذب وخاطي وخطير لأنه يعطي ولا يكون ولم يكن ولن يكن أصلاً وأساساً فهو من صنع المبرمجين ومناهج فكرية وفلسفية اقتصادية رأسمالية متوحشة، نسورها لربما دالة كبيرة تسعى إلى صناعة لمشروعها الاقتصادي الاستعماري

عالم فكري وثقافي تصارعي والذي يحمل بين طياته صوراً من صور الاستعمار الكلاسيكي التقليدي ذي التوعية التوسعية، فهو يهدف إلى السيطرة على العالم وإخضاعه وتدمير كيانه الثقافي والحضاري الحضارات والثقافات والديانات لا تتصادم... وإنما تشكل فيها

31

فيها بشكل فيما بينها حواراً وتفاعلاً مستمر الخير البشرية

أما التي تتصادم وتتصارع فهي المصالح الأنانية المادية التي تحركها

32

فيها بشكل فيما بينها حواراً وتفاعلاً مستمر الخير البشرية

أما التي تتصادم وتتصارع فهي المصالح الأنانية المادية التي تحركها

33

فيها بشكل فيما بينها حواراً وتفاعلاً مستمر الخير البشرية

أما التي تتصادم وتتصارع فهي المصالح الأنانية المادية التي تحركها

34

فيها بشكل فيما بينها حواراً وتفاعلاً مستمر الخير البشرية

أما التي تتصادم وتتصارع فهي المصالح الأنانية المادية التي تحركها

فيما بينها فيتبعد عن بعضها البعض وتتكرر لبعضها البعض وتخاف بعضها البعض، وتترصد لبعضها البعض، وتصبح عدوة لبعضها البعض وبدون أن تدري تخاجم وتتقاتل مع بعضها البعض وذلك كله من ومن تخطيط الدول الاستعمارية الجديدة وقوة شرارتها الرأسمالية والسياسة هم لها هم السيطرة على الأسواق وعلى الثروات.

وقد نشب حروب، وتتقاتل الشعوب وتتطاحن، وقد تجتهد الدول الاستعمارية وشرارتها الكبرى في إيجاد تبريرات لهذه الحروب لموقع وإيقاع صراعات الثقافية والحضارية والدينية، وذلك حتى تبعاد نفسها التهمة الاقتصادية التي كانت هي السبب الرئيسي في الانحدار وفي الاستعمار وفي الصراعات.

فكان الحوار هو القوة الأساسية لمواجهة هذا التوجه الاستعماري الجديد، وضع حد لهذه الصراعات المفتعلة بين الشعوب الضعيفة ولذا فإن حضاراتها ودياناتها... فالحوار... من شأنه أن يدفع إلى التعارف والشعوب ويدنيها من بعضها البعض إبداعياً وفكرياً ويوحدا رؤاهما والتعريف الكثير من الحوارات فيما بينها، خصوصاً تلك التي شهدت التقطيع من الحروب والاستعمار للآخر... وهذا كله من شأنه أن يدفع إلى الأخذ من الأحسن والأفضل قدر المستطاع ويمت ما ينبغي إيمانه ونهج ينبغي إحيائه ذلك هو منطق التطور الذي لن يحصل إلا لتعميل الدول الودية" 30.

المصادر والمراجع

- 1- ابن منظور: لسان - العرب: حوار.
- 2- المنجد في اللغة العربية المعاصرة - ط2 - دار المشرق - بيروت 2001، ص 343.
- 3- محمد حسين فضل الله الحوار في القرآن قواعده أساليبه، معطيات دار التعاون للمطبوعات ط5 - بيروت 1987.
- 4- طه عبد الرحمان: أصول الحوار وتحديد علم الكلام المؤسسي الحديث للنشر والتوزيع الدار البيضاء - 1987، ص 97
- 5- د. عبد الله محفوف بن يه: "الإسلام والحضارات الأخرى" الإسلام وحوارات الحضارات - المجلد الأول مكتبة الملك عبد العزيز العام الرياض - 2004، ص 180.
- 6- وقيد محمد بناء النظرية الفلسفية - دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة - دار الطليعة - بيروت ط1، 1990، ص 171.
- 7- د. عبد اللطيف كمال الحديثة والتاريخ حوار نقدي مع بعد أسئلة الفكر العربي ط. إفريقيا الشرق - الدار البيضاء 1999، ص 121.
- 8- عبد العزيز عثمان التويجري: "الغوية والعولمة من منظور التنوع في فلسفة حوار الأديان والحضارات" مطبوعات أكاديمية الملك المغربية - الرباط 1997، ص 159.
- 9- نفس المرجع: ص 160
- 10- د. عمارة محمد الإسلام وضرورة التغيير سلسلة الكتاب العرب الكتاب رقم 29 السنة 1997، ص 131

- 11- غار ودي روجي: حوار الحضارات - ترجمة عبادل العوا، مطبوعات عويدات للنشر والتوزيع - بيروت 1999، ص 216.
- 12- إدريس العلوي العبدلاوي: "أسس الحوار بين الأديان العولمة والغوية"، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - الرباط ص 136.
- 13- نفس المرجع: ص 133
- 14- د. عمارة محمد: الإسلام وضرورة التغيير سلسلة الكتاب العرب الكتاب رقم 29 السنة 1997، ص 114
- 15- عبد العزيز عثمان التويجري: "الغوية والعولمة من منظور التنوع في فلسفة حوار الأديان والحضارات" مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - الرباط 1997، ص 164.
- 16- إدريس العلوي العبدلاوي: "أسس الحوار بين الأديان العولمة والغوية"، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - الرباط - ص 142
- 17- د. ميم الخياي: "إشكالية العقل والحكمة في حوار الحضارات" الإسلام وحوارات الحضارات ج1 - ص 135
- 18- احسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة - دار وائل للنشر - عمان 2005، ص 233.
- 19- بركات حليم: المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي دراسات الوحدة العربية - ط2 - بيروت 1985 - ص 190.
- 20- القرآن الكريم - رواية ورش، سورة النحل، الآية رقم 125.
- 21- القرآن الكريم - رواية ورش، سورة العنكبوت، الآية رقم 46.
- 22- القرآن الكريم - رواية ورش، سورة الكافرون، الآية رقم 213
- 23- القرآن الكريم - رواية ورش، سورة الحجر، الآية رقم 13